عِبَادُ الرَّحْمنِ قُدْوةً
دراسـةٌ تحلَيليـةٌ
في سورة الفرقان

زهراء عبد الأمير خشان
أ.د. عباس أمير معارز
كلية التربية / جامعة القادسية

Servants of the Most Gracious; an example
Analytical study
In Surat Al-Furqan

Zahraa Abdel Amir Khashan
Prof.Dr. Abbas Amir Muarz
College of Education / Al-Qadisiyah University
Email: zahraaabdulamir2@gmail.com

ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى النظر في القيم ، والمُثُل العقديّة ، والأخلاقية والاجتماعية التي أهَّلَت أشخاصًا بأعينهم ليخصّهم الباري سبحانه بوسام (عباد الرحمن) ، ومن جهة أخرى، يجعل هذا البحث من صفات (عباد الرحمن) العقديّة والأخلاقية والاجتماعية، التي أكدتها خواتيم سورة الفرقان معاييرَ علمية يصوغ بهديها مفهوم القدوة، وفاقًا لتلك الصفات.

وهو لأجل ذلك الهدف، وبغية الإجابة عن سؤال البحث ومشكلة البحث، يستعين بالمنهج التحليلي بكل ما يشتمل عليه هذا المنهج من إمكانات علمية تتمثل بإفادته من العلوم الأخرى، فضلا عن استناده إلى الاستقراء والاستنباط.

وقد التزم البحث لتحقيق هذه الغاية بتقسيم البحث إلى مقدمة وفصول ثلاثة وخاتمة وتوصيات ، خلص عن طريقها إلى مفهوم القدوة في القرآن الكريم اتصاله الوثيق بالعبودية لله سبحانه وتعالى بحيث لا يمكن اطلاقًا أن ترقى الشخصية الإنسانية إلى مقام القدوة إلا إذا حققت شرط العبودية.

وإنّ الأرضية التي تستند إليها تلك الصفات، بحيث تكون القيمة العليا المكوِّنة لشخصية القدوة، هي أرضية الرحمة وقيمتها العليا.

إنّ الصفات الإحدى عشرة، فضلا عن صفة الرحمة تكوّن بمجملها شخصية الإنسان القدوة، وإذا استعنّا بالروايات الشريفة التي تؤكد أنّ مصداق (عباد الرحمن) هو آل بيت النبي الأطهار، يتضح لنا مقابلة اثنتي عشرة صفة باثني عشر إمامًا.

تعد القدوة في القرآن الكريم مرتكزا رئيسا من مرتكزات بناء الفرد والمجتمع، من حيث إنّها تعمل على تماسك بنية المجتمع فضلا عن ترسيخ القيم الأخلاقية والمبادئ السامية في نفوس أفراده.

والقدوة الحسنة ذات بعد فطري وآخر مكتسب، فالإنسان منذ نعومة أظفاره يجد في نفسه حاجة ملحة أن يقتدي بهدي غيره لاسيما والديه في بادئ الأمر، ومن ثَم تتطور تلك الحاجة شيئاً فشيئًا، فهي تستقى من الأسرة ثُم تُستقى من المجتمع وما يحيط به، وما يتعلق بمنظومته القيمية والدينية والثقافية الحضارية.

ومن أبرز ما يتميز به مفهوم القدوة هو ثباته ، وهو ثبات مرتبط بمنظومة المجتمع الدينية وقيمه الأخلاقية ، فإذا ضعفت تلك المنظومة تغيّر مفهوم القدوة، وبقدر ما تكون الصفات الحسنة والخصال الفاضلة سببًا للاقتداء، فقد تكون الصفات الذميمة مما يكوّن مفهوم القدوة ، وهذا يعني أنّ للمجتمع شأنه في صناعة مفهوم القدوة، بالنسبة للناشئة من أبنائه خاصّةً ، ما يعني أننا بإزاء نوعين من القدوة ، قدوة حسنة بمعايير ثابتة، وقدوة سيئة بمعايير متغيرة خاضعة للمكان والزمان واختلاف الأحوال.

الشرط الرئيس في القدوة الحسنة لكي يتخذها المجتمع مثالا يُحتَذى هو سلوك القدوة العملي المقترن بالعلم والمعرفة ، وهو ما يعني أنّ الخيط الواصل ما بين المقتدِي والقدوة هو أن تكون القدوة عملية، وأن تمتلك قدرا كبيرا من عاطفة المحبة التي تعد بمثابة القناة المُمثلى التي يتم من طريقها نقل الصفات من القدوة إلى المقتدِي.

الكلمات المفتاحية: القدوة، عباد الرحمن، سورة الفرقان، ثبوت القدوة، آل البيت عليهم السلام، القدوة.

Abstract

This research seeks to examine the doctrinal, ethical, and social values and ideals that qualified certain individuals to be honoured by Almighty Allah with the title of “Servants of the Merciful”. On the other hand, this research makes the doctrinal, ethical, and social qualities of the Servants of the Merciful, emphasized in the conclusion of Surat al-Furqan, scientific criteria to formulate the concept of role models in accordance with these qualities.

For this purpose, and in order to answer the research question and the research issue, this research utilizes the analytical method with all the scientific potential of this method, which is characterized by its benefit from other sciences, as well as its reliance on induction and deduction.

To achieve this goal, the research was divided into an introduction, three chapters, a conclusion, and recommendations. He concluded that

The concept of role modelling in the Holy Qur’an has a close connection to the servitude to God Almighty, so that the human personality can never rise to the position of role model unless it fulfils the condition of servitude.

The ground on which these qualities are based, so that the highest value constituting the character of the role model, is the ground of mercy and its highest value.

The eleven qualities, as well as the quality of mercy, together constitute the character of the exemplary human being. If we refer to the noble narrations that emphasize that the servants of the merciful are the pure family of the Prophet, it becomes clear that twelve qualities are matched with twelve Imams.

Role modelling in the Holy Qur'an is a major pillar of building the individual and society, working for the progress and development of society, thereby establishing high moral values and principles in the souls of its members.

Good role models have both an innate and an acquired dimension, as human beings from an early age find in themselves an urgent need to follow the guidance of others, especially their parents at first, and then that need develops little by little

Good role models have both an innate and an acquired dimension, as human beings from an early age find in themselves an urgent need to follow the guidance of others, especially their parents at first, and then that need develops little by little. - The establishment of role models is conditional on the society's religious and moral system. If that system is weakened, the concept of role models will change. As much as good qualities and virtuous qualities are a reason for imitation, bad qualities may also shape the concept of role models. This means that society has a role to play in shaping the concept of role models, especially for young people. This means that we are faced with two types of role models .

standards subject to place, time, and different circumstances.

Keywords: role model, servants of the Most Gracious, Surat Al-Furqan, proof of role model, the family of the Prophet, peace be upon him, role model.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الدعاة وخاتم النبيين، وأسوة المتقين، الرسول الأعظم ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين، والمهتدين بهديه إلى يوم الدين.

أمّا بعد: تمثل القدوة أحد أقوى المرتكزات التي لها شأن كبير وتأثير بارز في حياة الإنسان خاصة، وحياة المجتمع بعامة، على أنّ ذلك التأثير ببعدين ، أحدهما : تأثير إيجابي، والآخر : تأثير سلبي، و هذا يعتمد على طبيعة القدوة التي يتأسى بها الإنسان، و تلك الحاجة التي تدعوه إليها نفسه، فهو بحاجة إلى نموذجٍ ما يهتدي بهديه ، و قد حث القرآن الكريم على وجوب الاقتداء في قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (سورة الأنعام: جزء من الآية ٩٠)، و أرشد الأمة إلى التأسي بأخلاق رسوله، بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ (سورة الأعراف : جزء من الآية ١٥٧). ويكمن تأثير القدوة الحسنة بِعَدِّها أحد أهم الطرق التي تنتهي بسالكها إلى أعلى درجات الكمال، إن كان المقتدَى به ممن تتجلى فيه المُثُل الأخلاقية العليا، فإن كان العكس و تجسدت مثل أخلاقية متدنية في المقتدَىٰ به، فستكون القدوة حينها سببًا يوصل إلى تدني الذات وتسافلها وانهيارها، و من ثم انهيار بناء المجتمع بأكمله ، على أنّ سورة الفرقان المباركة ترسم لنا ملامح تلك القدوة فتحيط بها كلّها، ثمّ تؤيد ذلك، علوم القرآن، ومنها أسباب النزول، وتفسيره، كذلك الروايات الشريفة الواردة عن النبي الأكرم ، وآل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم، لتؤكد لنا أنّ المصداق الأتم و الأكمل لموضوع القدوة الذي تتحدث عنه سورة الفرقان المباركة، هو محمد و آل محمد عليهم الصلاة و السلام، ثم الأوْلى فالأولى، وصولًا إلينا و ما بعدنا ممن تخلق بأخلاق محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم.

ومن الدوافع التي حملت على اختيار هذا الموضوع :

١- ما يشتمل عليه مفهوم القدوة من حافز علمي وأخلاقي يدعو إلى الكتابة فيه.

٢- تبيان أهمية القدوة الحسنة للفرد والمجتمع.

٣- إعادة الاعتبار لأهمية التربية بالقدوة، وخاصة في الوسطين: التربوي والجامعي، بما يعمل على تصحيح مسارات الاتباع المستند إلى تسافل المنظومة القيمية ، والنأي عن الاتباع والتقليد الأعمى.

٤- شيوع صفات القدوة السيئة، وما يسببه ذلك الشيوع من الضعف والاضطراب والتفكك المجتمعي، وغلبة الأهواء، وانتشار الثقافات الغربية المنافية لثقافتنا الإسلامية، وإيثار المصالح الخاصة والأنانية.

وقد حرص البحث على إلقاء ضوء المنهج التحليلي على مفهوم القدوة استنادا إلى استقراء حدود المفهوم وشروطه العامة، فضلا عن شروطه الخاصة المتجلية في (عباد الرحمن) في سورة الفرقان المباركة ؛ ولتحقيق معالجة علمية لقضية البحث الرئيسة، اقتضى البحث تقسيمه على مقدمة وثلاثة فصول، يسبق المقدمة ملخص البحث، ويتبع الفصول خاتمة البحث وتوصياته وقائمة بمصادره ومراجعه.

أمّا الفصل الأول من تلك الفصول، فقد حمل عنوان (مفاهيم البحث و قضاياه)، وجاء عنوان الفصل على أربعة مباحث، الأول: (العبودية لغةً واصطلاحا)، والثاني: (الرحمة لغةً واصطلاحًا)، والثالث: (القدوة لغةً واصطلاحًا)، أمّا الرابع : فهو (التعريف بسورة الفرقان)، وأمّا الفصل الثاني فقد جاء تحت عنوان (صفات عباد الرحمن؛ موارد الاقتداء)، مشتملًا على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: هو (الصفات العقدية)، والمبحث الثاني : هو (الصفات الأخلاقية)، أمّا المبحث الثالث: فهو (الصفات الاجتماعية)، وهكذا وصولا إلى الفصل الثالث: الذي كان بعنوان (القدوة

المؤثر والمتأثر)، وقد كان كسابقيه على ثلاثة مباحث: تناول الأول : موضوعه تحت عنوان (القدوة المؤثر)، وتناول الثاني : موضوعه تحت عنوان (المتأثر فرديًا) أمّا المبحث الثالث : فعنوانه (المتأثر مجتمعيًا) ، وأمّا خاتمة البحث فقد أجملت أهم النتائج التي وصل إليها البحث ، ثم كان لتوصيات البحث الشأن الأهم في تبيان طموح البحث ، ونظرته المستقبلية ، وقد اعتمد البحث على مصادر ومراجع عديدة لأجل إثبات أهمية تلك القدوة وتحديد ملامحها و مصاديقها و آثارها ، وكان على رأس تلك المصادر كتاب الله تعالى، و جملة من التفاسير المهمة، فضلا عن كتب الحديث، والمعجمات اللغوية وأيضًا المصادر الفلسفية، والاجتماعية العامة القديمة والمعاصرة.

الفصل الأول

مفاهيم البحث وقضاياه

المبحث الأول

العبودية : لغةً واصطلاحًا :

أولًا: العبودية لغةً :

مادة (عَبَدَ) ممّا عرفته اللغة العربية قبل نزول القرآن، ثم جاء القرآن، ليبني على الاستعمال السابق ويزيد عليه، ثم اصبحت مادة الفعل متضمنة في التعريف الاصطلاحي للعبودية، والذي يتوجب هنا هو الوقوف على تلك الاستعمالات للافادة منها في فهم مصطلح العبودية .

فـ(العباد) جمع (عبْد) وهو مشتق من (عَبَدَ) كما أنّ (العبودية) اسم مشتق من الفعل (عَبَدَ)، وتشتمل المادة اللغوية (عَبَدَ) على :

عبَد يعبد عبادة فلا يقال إلا لمن يعبد الله تعالى، والمتعبد: المنفرد بالعبادة [1]، وأصل العبودية الخضوع، والذل، والمُعبدةُ: السفينة المقيرة [2]. والعبودية بين معنين

(١) العين، الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) ، ٣ / ٨٣.

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) ، ٧٢٤، ٧٢٦.

متضادين، هما الذل واللين والشدة والغلظ [١]، وتعبدني فلان واعتبدني: صيرني كالعبد له، و الاستعباد: هو اتخاذ الشخص عبدًا [٢]، وعَبَدَ اللهَ: تألَّه لَه، والتعبُد: التنسك، والعبادة: الطاعة[٣] ، و(أعْبَدَ) القَومُ بفلان: اجتمعوا عليه يضربونه، أعبدَ بهِ: ماتت راحلَتَه في الطريق أو اعتلت فانقطع بهِ [٤] ، و(العَبْدُ) خلاف الحر وهو عَبدُ بيّن العَبديّة والعُبُودةِ والعُبُوديَّة، [٥].

ونخلص بعد هذه المتابعة للفظة (عَبَدَ) في المعجمات العربية أنّها تدل على الخضوع والذل والانقياد الذي يشير إلى وجود طرفين، الأول هو المهيمن وله السلطة العليا، والآخر المنقاد والمستسلم ، وقد يتجسد هذا المعنى بخضوع أحد الأطراف لجهة تمتلك مقومات العلو فيحصل لها الخضوع والطاعة والانقياد، ولا يبتعد عن هذا المعنى اجتماع القوم وتوحيدهم ليحققوا الارتفاع عن الضعيف الذي لا قوم له .

وما تقدم يشير في كل أحواله إلى وجود طرفين أحدهما قوي والآخر ضعيف ينبغي عليه الطاعة والالتزام.

ثانيًا: العبودية اصطلاحًا :

العبودية هي ((إظهار الخضوع والخشوع، ونهاية التواضع والتذلل وهذا لا يليق إلّا بالخالق المدبر الرحيم المحسن))[٦]، ويربط المعنيون بين العبودية والمحبة، فيقولون: ((العبودية قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما ، غاية الحّب مع غاية

(١) مقايس اللغة، ابن فارس، (ت ٣٩٥ هـ) ٤ / ٢٠٥.
(٢) يُنظر ؛ معجم العين، ٣/ ٨٢ ، واساس البلاغة، الزمخشري(ت ٥٣٨هـ) ، ١/ ٦٣٠،ومختار الصحاح، الرازي(ت ٢٥٠هـ) ، ٢٠٥
(٣) لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ) ، ٣/ ٢٧٠، مادة (عَبَدَ) .
(٤) المصدر نفسه، ٣/ ٢٧٦، مادة (عَبَدَ).
(٥) المصباح المنير، الفيومي، (ت ٧٧٠هـ) ، ٣٨٩.
(٦) التفسير الكبير، الرازي (ت ٦٠٦) ، ١/ ٢٠٨.

الـذلّ))[1]، أمّـا العبـادة فهـي كل مـا ((يجمـع كـمال المحبـة والخضـوع والخـوف))[2].

ويقـول أمـير المؤمنين عليه السلام : ((مَـنْ قـامَ بشرائـط العبُوديّـة أهـلٌ للعتْـق))[3]، أمـا الإمـام الصـادق عليه السلام فيقـول؛ ((العبوديـة جوهَـرة كنهُهـا الربوبيّـةُ، فـما فُقِـدَ في العبوديَّـةِ وُجِـدَ في الربُوبيّـةِ، ومـا خَفِـيَ عـن الربوبيَّـةِ أُصِيـبَ في العبُوديّـة))[4]، ويربـط الإمـام الرضـا عليه السلام العبوديـة بالمعرفـة فيقـول؛ ((أول عبـادة الله معرفتـه))[5]..

وخلاصـة القـول إنّ مفهـوم العبوديـة تتضمـن معنـى الطاعـة والخضـوع ، والـذل والخـوف ، والانقيـاد والتعظيـم لله سـبحانه، ويترتـب عـلى هـذا المعنـى، أنّ بنـاء العلاقـة بخالـق الكـون عـلى هـذا الوفـق مدعـاة لأن يكـون المتخلـق بهـا قـدوة حسـنة ؛ لأنّ مـن خضـع لله حـق خضوعـه لان للنـاس وأخضـع هـواه بـما يجعـل منـه أهـلا للاقتـداء.

المبحث الثاني

الرَّحمة، لغةً واصطلاحًا :

أولًا: الرَّحمة لغةً :

الرَّحمـة، اسـم مشـتق مـن الفعـل الثلاثـي (رَحِـمَ). وقـد جـاءَ في اللغـة، قـول العـرب: رَحِمتُـه : عطفْـت عليـه[6] ، والرَحـمُ: منبـت الولـد ووعـاؤه[7] ، ورَحِمَـه يرحُمـه: إذا رقَّ لـه[8]، والرَّحِـمُ : علاقـةُ القَرابـة[9] ، وتطلـق الرحمـة، ويـراد بهـا مـا تقـع بـه الرحمـةُ، كإطـلاق الرحمـة عـلى الـرزق والغيـث[10]، واسـترحمته : اسـتعطفته ، وترحَّمْـتُ عليـه ؛ قلـت رحمـة

(١) الداء والدواء، ابن القيم (ت ٧٥١) ، ٣١٥.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت ٧٧٤)، ٢/ ٦٢٣.
(٣) غرر الحكم، الآمدي (ت ٥١٠) ، ٨٥٢٩.
(٤) مصباح الشريعة، المنسوب لإمام الصادق (ع) ، ٥٣٦.
(٥) التوحيد، محمد عبد الوهاب،(١٢٠٦) ، ٢ / ٣٤.
(٦) العين، ٢/ ١٠٦.
(٧) يُنظر؛ المصدر نفسه، ٢/ ١٠٦-١٠٧ .
(٨) تاج اللغة وصحاح العربية، ٥/ ١٩١٩ .
(٩) مقايس اللغة، ٢/ ٤٩٨.
(١٠) مختار الصحاح، ١٢٠.

الله عليه[١].

ونخلص، مما سبق، إلى أنّ الرحمة تعني، الرأفة والعطف والعناية.

ثانيًا: الرحمة اصطلاحًا :

الرحمة هي : ((الإيمان، والنعمة، والرزق، والنصر، والفتح، والعافية، والمودة، والسعة، والمغفرة، والعصمة، والعفو، وتختلف الرحمة باختلاف المثل العليا التي يتصورها الناس، فإذا كانت هذه المثل العليا مبنية على القوى المادية كانت الرحمة متقطعة، وإذا كانت مبنية على القوى الروحية كانت الرحمة أثبت وأوسع))[٢]، ومن حيث تعلق الرحمة بصفات الباري سبحانه، الرحمة من صفات الذات؛ وذلك لأن ((الله سبحانه أراد في الأزل أن يرحم عباده))[٣]، وقال آخرون الرحمة : ((هي من صفات الفعل، بمعنى إنّ الله قادر على أن يعطي عبده ما لا يستحقه من المثوبة ويدفع عنه ما يستوجبه من العقوبة))[٤].

والرحمة في الجانب الاجتماعي: هي سلوك عملي يعمل على إحاطة نقاط الضعف بنقاط القوة، ومن ذلك يولد التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع ، ويكون أبناء المجتمع متحدين متآزرين متظافرين كأنهم نفس واحدة، وبذلك يتحول المجتمع إلى ما يشبه الجسد الواحد، كما قال رسول الله ﷺ؛ ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[٥].

ومن حيث أثر الرحمة واتصالها بالعاطفة قالوا : الرحمة ((هي رَقّةٌ في النفس تبعث على سَوقِ الخير لمن تتعدى إليه))[٦]، وهي ايضًا، ((رقة في القلب يلامسها

(١) اساس البلاغة ، ١/ ٣٤٤.
(٢) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/ ٦١١.
(٣) المعجم الفلسفي ، ١/ ٦١١--٦١٢.
(٤) المصدر نفسه، ١/ ٦١٢.
(٥) يُنظر : بحار الأنوار، المجلسي(ت ١١١١ه) ، ٥٨/ ١٥٠، وصحيح مسلم، ٨ / ٢٠.
(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور (ت ١٢٩٦هـ)، ٢٦ / ٢٤.

الألم حينما تدرك الحواس ، أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس ، أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر))[١].

وقيل في الرحمة : إنّها الشعور بآلام الآخرين والتأثر بمعاناتهم والسعي لإزالتها، والتأسف لأخطائهم فيتمنى لهم الخير والهدى[٢]، وهي صفة ((تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفسه وشقَّت عليها))[٣].

وترتبط الرحمة بالعاطفة، فهي فيض من المشاعر والأحاسيس المرتبطة برقة القلب ، والتي تبدأ من جوهر النفس الذي هو مبدأ الإحسان[٤].

نخلص من ذلك كله إلى أنّ مفهوم الرحمة الاصطلاحي لا يبتعد كثيرًا عن معناه اللغوي، ولعلنا نلحظ ذلك بوضوح، من حيث أنّ الرحمة هي كلمة جامعة لكل أنواع العطاء الإلهي، متمثلا بالرعاية والأمان والإنعام والتفضل، والإحسان. إلخ، فهي قيمة عليا، والتخلق بها مدعاة للاقتداء، وسبب من أسباب صناعة القدوة الحسنة.

المبحث الثالث

القدوة لغةً واصطلاحًا :

أولًا: القدوة لغةً :

القدوة : اسم مشتق من الفعل الثلاثي(قَدَو)، وقد ورد لدى العرب الأوائل باستعمالات متعددة، منها: التقدم، ويقال: فلان لا يقاديه أحد ولا يماديه ولا يباديه ولا يجاريه[٥]، وتقدت به دابته، لزمت سنن الطريق[٦] .

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية ، مجموعة من المختصين ، ١/ ٢٣٢.
(٢) يُنظر؛ خلق مسلم، محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)،١٩٠.
(٣) اغاثة اللهفان، ابن القيم (ت ٧٥١هـ)، ٢/ ١٧٤.
(٤) يُنظر؛ الكليات، الكفوي (ت ١٠٥٣هـ)، ١/ ٤٧١.
(٥) يُنظر؛ تهذيب اللغة، الأزهري (ت ٣٧٠هـ) ، ٢/ ١٩٢.
(٦) المصباح المنير، ٢/ ٤٩٤.

ونستخلص مما سبق، أنّ القدوة بجانبين، الجانب الحسن، والجانب السيء وفي كل جانب يحصل الاتباع، الأول يحصل به التقدم ، وأمّا الثاني يحصل به التراجع ، وأنّ مما يدل عليه مفهوم القدوة معنى الاتباع ، فالمقتدِي هو المتبع لمن يقتدي به، والمُقتَدى به مثالٌ لمن يتبعه.

ثانيًا: القدوة اصطلاحًا :

القدوة هي مفهوم اجتماعي، نفسي، ديني، مفاده اتباع الذين يحققون الكمال في المثل العليا ، والقيم السامية. والمقصود بالقدوة الحسنة، تقليد الإنسان واتباعه غيره في الخيرات ومكارم الأخلاق المترتبة في الافعال، فالقدوة الحسنة تعني أنّ القدرة أسوة لأتباعه يقودهم فيحذون حذوه[1]، وقد ذكر الله في كتابه ، الذين يجب الاقتداء والتأسي بهم واتباعهم وهم الأنبياء (عليهم السلام)، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴾[3]. أما القدوة السيئة فهي الاقتداء بأهل الباطل ومتابعتهم في الأعمال الباطلة والتأسي بهم في فعل السيئات وترك الحسنات، وقد كان تقليد الآباء سببًا رئيسًا في رد دعوات الأنبياء عليهم السلام، وهو تقليد مذموم وسيء يقود صاحبه إلى الأخذ بآداء واقوال الرجال، والإعراض عن الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، [4].

ونخلص مما تقدم إلى أنّ القدوة، هي استعداد كامن في النفوس لاتباع الأحسن والأكمل، يترتب عليه هداية التابع إلى مقصود كماله بأمان وسلامة، ومن دون معاناة الزلل والصعوبات.

(١) ينظر؛ موسوعة الأخلاق، الحراز، ٤٢٤.
(٢) سورة الممتحنة، جزء من الآية : ٤.
(٣) سورة الأحزاب، الآية : ١٢.
(٤) مفاتيح الغيب، الرازي(ت٦٠٦هـ)، ٢٧/ ٦٢٨.

المبحث الرابع

التعريف بسورة الفرقان :

تسميتها، ونزولها، وفضلها، ومقاصدها

أولًا: تسميتها

وردت لهذه السورة تسميات منها، (الفرقان)، وسميت بالفرقان ؛ لوجود كلمة الفرقان فيها، ومعناها التفريق بين الصواب والخطأ، والحق والباطل[١]، وسميت بسورة (تبارك) لافتتاح السورة بكلمة تبارك[٢] .

ثانيًا: نزولها

سورة الفرقان، سورة مكية، ماعدا الآيات (٦٨ - ٧٠) مدنية، من المثاني، آياتها سبع وسبعون، ترتيبها في المصحف خمس وعشرين، في الجزء التاسع عشر، نزلت بعد سورة ((يس))[٣]، ((نزلت في السنة العاشرة من البعثة، وهي من السور التي نزلت بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، وهي فترة تميزت بقسوة مشركي مكة وعنفهم، ورغبتهم في القضاء على الدعوة بكل سبيل؛ ولذلك تبدو سورة الفرقان، إيناس لرسول الله ﷺ، وتسريةٌ له وتطمين، وهو يواجه مشركي قريش وعنادهم وجدالهم بالباطل ووقوفهم في وجه الهدى وصدهم عنه))[٤] .

ثالثًا: فضلها

ورد عن رسول الله ﷺ، قوله، في فضل سورة الفرقان: ((من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة وهو يؤمن أنّ الساعة آتية لاريب فيها ، وأنّ الله يبعث من في القبور ودخل الجنة بغير حساب)) ، وروى إسحاق بن عمار عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قوله: ((يا ابن عمار لا تدع قراءة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾، فإنّ من قرأها في

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي (ت٤٦٠هـ) ،٧/ ٤٧٠.
(٢) ينظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور، ٦/ ١١١.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ١٨/ ٣١٣.
(٤) الموسوعة القرآنية خصائص السور، مجموعة من المختصين ، ٦/ ١٠٥.

كل ليلة لم يعذبه الله أبدًا ولم يحاسبه وكانت منزلته في الفردوس الأعلى))[١].

رابعًا : مقاصدها

جعل الله سبحانه وتعالى سورة الفرقان عونًا لرسول الله ﷺ، لتشد من أزره، فكانت السورة في ضمن المقاصد الآتية :

١- بيان أنّ الله تبارك وتعالى نزل القرآن على نبيه الأكرم ﷺ منجمًا، و مفرقًا على مراحل وفترات، تثبيتًا للقلوب، وتلاوة حق تلاوته، وحفظه في الصدور، ودلالةً على صدق نبوته[٢] .

٢- ذكر عالمية الرسالة المحمدية، وأنها مبعوثة للعرب خاصة، وإلى الناس عامة، لينذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم[٣] .

٣- ذكر الموازنة في الآخرة بين نعيم المتقين والصالحين وجزائهم في جنات النعيم وعذاب الكافرين في نار الجحيم[٤] .

٤- تبيان عظمة الله سبحانه وتعالى وأنّه المالك لكل شيء[٥].

٥- التحلي بالصبر والمصابرة، ومجاهدة الكافرين بدلائل قرآنية بالغة، وتفويض الأمور إلى الله تعالى والتوكل عليه[٦].

٦- ذكر الأقوام السابقة المكذبة لرسلهم، وعرض نهايتهم التعيسة في سلسلة من مشاهد القيامة[٧].

٧- بيان صفات عباد الرحمن المتقين[٨].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، ٧/ ٢٥٠.
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير، ٦/ ٩٢.
(٣) ينظر: المصدر نفسه، ٦/ ٩٣.
(٤) موقع إسلام ويب.
(٥) ينظر: نفسه ، ١٥ / ١٧٥ - ١٧٧.
(٦) ينظر: التحرير والتنوير، ١٨ / ٣١٥.
(٧) ينظر: المصدر نفسه ، ١٨ / ٣١٥ .
(٨) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، ٧/ ٥٠٤.

٨- عرض جزاء المتقين والصالحين ما ينالون من الخيرات في جنات النعيم خالدين فيها[١].

٩- إبراز مفهوم القدوة والاقتداء استنادًا إلى شخصية عِباد الرحمن[٢].

الفصل الثاني

صفات عباد الرحمن موارد الاقتداء

المبحث الأول

الصفات العقدّية

جاء القرآن الكريم موضحًا لصفات عباد الرحمن التي ذكرها الله لهم فشرفها بهم وشرفهم بها، ولاسيما الصفات العقدية ، فالعقيدة هي الإيمان الجازم بالله تعالى التي تثبت أنّ الواحد الأحد، فإذا ثبتت في النفس نشأ منها منظومة من القيم والمبادئ و الأفكار ، والقواعد الراسخة في القلب التي تترابط ترابطًا وثيقًا ، ما يعطي أساسا ثابتا وراسخا وصلبا من أسس الكمال الإنساني والسعادة المعنوية ، ومن أبرز تلك الصفات:-

الصفة الأولى: ذكر اللهو، و الخوف من عذابه

اتصف عباد الرحمن بكثرة السجود والقيام في الليل، مما يدل على خشوع القلب وإخلاص النية لله تعالى، بعيدًا عن الانشغال بالأمور الدنيوية والتفكر بها، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِم سُجَّدا وَقِيَما﴾[٣] فهم منشغلون بعبادة الله ليلاً مع اقامتهم للصلاة والسجود فيها[٤]، وقيل أيضًا في معنى الآية ذكر سيرة المؤمنين والصالحين في الليل عند انشغالهم بذكر الله وطاعته، كما جاءَ في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى

(١) ينظر: الميزان ، الطبطائي (ت١٤٠٢هـ) ،١٥ / ٣٤٥.
(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١٥ / ٣٤٥.
(٣) سورة الفرقان، الآية : ٦٤.
(٤) يُنظر، التبيان في تفسير القرآن، ٧/ ٥٠٥.

جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، يعني قيامهم بالعبادات في الليل وتركهم للنوم واستعدادهم لطاعة الله تعالى وتقربهم إليه[2].

وروي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ((أطيلوا السجود، فما من عمل أشد على إبليس من أن يرى ابن آدم ساجدًا؛ لأنّه أمر بالسجود فعصى، وهذا أمر بالسجود فأطاع ونجا))[3].

ولكن ذكر الله وحده ليس صفة كمال بل لابد من الخوف من عذاب الله، والخوف من عذاب الله منزلة عظيمة من منازل الإيمان المرتبطة بالعبادة القلبية للعبد، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[4]، فعباد الرحمن مع كثرة انشغالهم بطاعة الله والتهجد ليلًا، خائفون من عدم الاستمرار في الاستقامة والتقصير في حق الله تعالى، فهم يدعون الله جل جلاله في صرف العذاب عنهم[5]، كما جاءَ في موضع آخر من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[6]، أي أنّهم يعطون العطاء وهم خائفون ألّا يُتقبَّل منهم عملهم[7]، وقيل أيضًا إنهّم أثناء قيامهم بالسجود والقيام يقولون هذا القول: أيها المحسن إلينا اصرف عنا عذاب جهنم الذي أحاط بنا والذي نستحقه إلّا أن ندرك منك العفو والرحمة والإحسان والتوفيق[8].

الصفة الثانية: التوحيد الخالص لله

(١) سورة السجدة، الآية: ١٦.
(٢) يُنظر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ٢٤/ ١٠٨.
(٣) بحار الأنوار، ٨٢/ ١٦١.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٥- ٦٦.
(٥) يُنظر، الكشاف، الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، ٤/ ٣٧٠.
(٦) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.
(٧) ينظر: تفسير ابن كثير، ٥/ ٤٨٠.
(٨) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ت٨٨٥هـ) ١٣/ ٤٢٣.

أبرز ما وصف به عباد الرحمن أنّهم حققوا التوحيد الخالص لله تعالى، وهو من أسمى مراتب العقيدة، فهو الاعتقاد بوحدانية الله سبحانه، بعيدًا عن الشرك والضلال، والبراءة من عبادة كل ما سواه، كما روي عن النبي ﷺ أنّه سُئل: أيُّ الذنبِ أكبرُ؟ قال: ((أن تجعَلَ للهِ ندًّا وهو خَلَقك))[1]، فأنزل الله تصديق ذلك، بقوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[2]، ويتضح من قوله تعالى تنزيه عباد الرحمن من صفات قومهم التي وصفوا بها من الشرك والضلال والفساد التي كانت ملازمة لهم، فتنزهوا عنها بسبب إيمانهم، وأنّ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾، هو اشارة إلى أنّ عباد الرحمن تنزهوا عن الشرك بالله، وأنّهم لم يدعوا مع الله إلهاً آخر، ومن يفعل ذلك يضاعف الله له العذاب ويكون خالدًا في النار[3]، وقال آخرون أنّ المراد من يقوم بالدعاء مع الله إلهاً آخر، فالمراد بدعاء غيره هو دعاء إله آخر مع وجود الله تعالى، وتكون بعبارة أخرى تعدية إلى غيره[4]. وقد ذكر الله في كتابه الحكيم عقاب من يشرك به في قوله تعالى:﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[5]، أي عندمايكون لقاء العبد مع الله وهو مشرك به فإنّ الله تعالى لا يغفر له ويغفر الذنوب التي غير الشرك به لعباده[6]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[7]، وهنا يتضح أنّ الميزة التي اختص بها عباد الرحمن هي: التوحيد الخالص بمعنى أنهم مبتعدون عن كل أنواع الشرك والضلال والفساد ، والثنوية والتعددية في عبادته جل ثناوءه، وإنّ سلوكهم لطريق

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ١١/ ٢١٢.
(٢) سورة الفرقان، جزء من الآية : ٦٨.
(٣) يُنظر: التحرير والتنوير، ١٩/ ٧٣.
(٤) يُنظر: الميزان، ١٥/ ٢٤١.
(٥) سورة النساء، الآية : ٤٨.
(٦) يُنظر: تفسير ابن كثير، ٢/ ٣٢٥.
(٧) سورة المائدة، جزء من الآية :٧٢.

التوحيد أنار قلوبهم وحياتهم الفردية والاجتماعية وانقشعت عن سماء أفكارهم وأرواحهم ظلمات الشرك[1].

الصفة الثالثة: التفكرّ في آيات الله

من صفات عباد الرحمن التي امتازوا بها هي صفة التفكرّ والتأمل وحسن الاستماع لآيات الله تعالى والعمل بها؛ لأنّها عبادة حقيقية في حد ذاتها، وإنّ التفكير بآيات الله تعالى والتأمل والتمعن فيها مرتبط بيقين العبد المؤمن، ما يؤدي إلى فتح آفاق الحقيقة المعرفيه لديه، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[2]، والمراد بقوله تعالى، أنهّم إذا ذكروا بأدّلة الله (آياته) التي نصبها لهم تمعنوا بالنظر فيها وتأملوها جيدًا، وفكروا بما تقتضيه هذه الآيات، ولم يكونوا كالمشركين، إذا عرضت لهم آيات الله تعالى لم يتدبروا فيها وكأنهم لم يسمعوها ولم يروها، فعباد الله الصالحون إذا عرضت لهم آيات ربهم يخرون لها سجدًا وبكيا سامعين لله مطيعين[3]، أمّا معنى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُماً وَعُمْيَانًا﴾، فليس المقصود بنفي الخرور، وإنّما المراد به الثبات، وليس هذا أيضًا نفي للصم والعمى، وقيل : إنّ عباد الرحمن إذا ذكروا بآيات الله جل وعلا، فهم يستمعون لها بآذان سامعة واعية، وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ فقال: ((مستبصرين ليسوا بُشكّاك))[4].

ومما تقدم نخلص إلى قول أنّ الصفات العقائدية التي اتصف بها عباد الرحمن، مرتبطة بالجانب القلبي؛ لأنّه يعد منبع الإيمان وفيض مشاعر الخشوع والخضوع لله عز وجل ومحبته.

(١) يُنظر: الأمثل، ١٧/ ٢٢٢.
(٢) سورة الفرقان، الآية : ٧٣.
(٣) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن، ٧/ ٥١١.
(٤) تفسير نور الثقلين، الحويزي (ت ١١١١ هـ)، ٤/ ٤٣.

وقد ختمت هذه الصفات بصفة الدعاء وهي من أبرز الأعمال العبادية الذي يتجسد بحضور القلب وخشوعة ، فهو الوسيلة التي يتوسل بها الإنسان إلى تجسيد الصلة بربه والشعور العميق بحضور الله جل جلاله في حياته، و من يتحلى بهذه الصفات الجليلة يستحق أن يكون قدوة، يقتدي غيرهُ بأقواله وأفعاله ويسير على نهجه.

المبحث الثاني

الصفات الأخلاقية

الأخلاق لغةً: الطبع، والسجية[1]، وهي عبارة عن مظهر للنفس تجسدها مجموعة من القيم والمبادئ التي تنظم سلوك الإنسان، وتصدر منها الافعال بسهولة و يسر من غير حاجة إلى تفكير، وهي تتجلى بالأفعال الصادرة من العقل والشرع[2]، ومن الصفات الأخلاقية الحسنة التي تحلّى بها عباد الله الصالحين، أبرزها:-

الصفة الأولى: التواضع

التواضع هو ((ترك الترؤس، و إظهار الخمول، و كراهية التعظيم، و الزيادة في الإكرام، و أن يتجنب الإنسان المباهات بما فيه من الفضائل، و المفاخرة بالجاه و المال، و أن يتحرز من الإعجاب و الكبر))[3]، التواضع يعد مرتبة من المراتب العظيمة والجليلة التي خص بها الله عباده الصالحين، تدل على طهارة النفس، وتنبثق منها المحبة والمودة والمساواة بين الناس، والتواضع هو خلق يليق بالعبد المؤمن، وأشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[4]، إنّ الله جل جلاله أضاف إلى عباده المؤمنين منزلة رفيعة بنسبتهم إليه، في قوله: ﴿عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾ باضافتهم فربط صفة عبوديتهم بصفة رحمته ، ثم وصفهم

(١) ينظر: العين، ١/ ٤٣٨، مقايس اللغة، ٢/ ٢١٤.
(٢) ينظر: التعريفات ، الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) ، ١٣٦.
(٣) موسوعة الأخلاق الإسلامية ، ١/ ١٤٦.
(٤) سورة الفرقان، جزء من الآية : ٦٣.

بالتواضع، في قوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، أي أنّهم يمشون بتواضع ورفق ولين ووقار وإخبات، غير متكبرين ولا متعالين ولا متفاخرين على الناس، مما يدل على رقي وعلو أخلاقهم[1]، وأشار آخرون إلى معنى قوله تعالى: ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ أي أنّهم الخواص من عباده، الذين اتصفوا بصفة السجود والخضوع للرحمن، و معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي يمشون بخشوع وتواضع، حلماء علماء متخذين الأنبياء (عليهم السلام) قدوة يقتدون بهم، غير متكبرين ومتفاخرين ومختالين في مشيهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[2]، روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: ((إنّ التَّواضُعَ يَزيدُ صاحِبَهُ رِفعَةً، فتَواضَعُوا يَرفَعْكُمُ الله))[3]، وروي عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: ((عليك بالتواضع فإنّه من أعظم العبادة))[4]، وعنه أيضا (عليه السلام) أنّه قال: ((ما تواضع إلّا رفيع))[5]. وذهب بعضهم إلى أنّ أول صفة اتصف بها عباد الرحمن هي صفة التواضع، التي تنفي الغرور والتعالي، وتبين عن سمو الأخلاق، فالتواضع مفتاح الإيمان، وهو العلامة العملية والسلوكية الأولى لنحقق شرط العبودية[6] .

الصفة الثانية: الحلم وسعة الصدر

الحلم، هو ضبط النفس وطمأنينتها والهيمنة عليها عند حدوث الغضب، بحيث لا يمكن أن تحركها مثيراته بسهوله، بل هو الضد الحقيقي للغضب[7]، فصفة الحلم ترتبط بسعة الصدر، وهما من صفات الفضيلة الأخلاقية، التي امتن بها الله تعالى

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسيب الآيات والسور، ١٣ / ٤٢٠.
(٢) سورة لقمان، الآية : ١٨.
(٣) بحار الأنوار ، ٩٣/ ١٢٢.
(٤) جامع أحاديث الشيعة، حسين البروجردي (ت ١٣٨٠ه) ، ١٤/ ٣٠١.
(٥) ميزان الحكمة ، الريشهري ، ٤/ ٣٥٥٩.
(٦) ينظر: الأمثل، ١٧ / ٢١٧.
(٧) ينظر: أخلاق أهل البيت، مهدي الصدر، ٢٦، جامع السعادات، النراقي، ١/ ٢٨٥.

على عباده المؤمنين، فضلا عما يدل عليه الحلم من رجحان العقل، وضبط النفس، وسلامة القلب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾[1]، ومعنى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾، أي السداد من القول، وأنّهم حلماء لا يجهلون، يسلمون من إيذاء الجاهلين وأيضًا من الإثم، وقيل في معنى السلام هو المعروف من القول[2]، وذكر بعضهم أنّ معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾، أي إذا تم مخاطبة عباد الله الصالحين، بخطاب يسوده الجهل من قبل الجاهلين، الذين يكرهون أن يخاطبوا به، كان رد المؤمنين هو سلامة القول خاليًا من فضول القول وخاليا من الإثم، كقوله تعالى: ﴿ لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً إِلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً ﴾[3]، وفي معنى السلام هنا، أنّه لا يدل على الضعف، وإنّما يدل على الحلم والصبر والعظمة، ولهذا، يعد مظهرًا من مظاهر العظمة الروحية، وبما يمكن من طيّ الطريق الخالص لعبودية الله تعالى[4]، وقد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((الحلم سجية فاضلة))[5]، وعنه أيضًا (عليه السلام): ((تعلموا الحلم فإنّ الحلم خليل المؤمن ووزيره، والعلم دليله، والرفق أخوه، والعقل رفيقه، والصبر أمير جنوده))[6].

الصفة الثالثة: الاعتدال

صفة الاعتدال والتوسط في الإنفاق من أسمى الصفات الحميدة التي وصف بها عباد الرحمن، كما بين الله في كتابة الحكيم، قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا

(١) سورة الفرقان، جزء من الآية : ٦٣.
(٢) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ٤ / ١١٥، تفسير ابن كثير، ٦ / ٦٢٢، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ١١ / ٢٠٨.
(٣) سورة الواقعة، الآية : ٢٥.
(٤) ينظر: الأمثل، ١٧ / ٢١٨.
(٥) بحار الأنوار، ٦٨/ ٤٢٨.
(٦) ينظر المصدر نفسه، ٧٥/ ٦٢.

﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[1]، أمّا التقتير: فيقصد به التضييق والتقليل في الإنفاق، أي أنّهم لم يقوموا بالتضيق والضياع في الحقوق، والتضيق نقيض الإسراف، و معنى ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾، أي أنّهم لم يتجاوزوا الحد في النفقة، ولم ينفقوا الأموال في المعاصي ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ، أنّه قال: ((ومن منع حقًّا فقد قتّر، ومن أعطى في غير حق فقد أسرف))[2]، وفي هذا ما يشير إلى ضرورة اتخاذ منهج الوسطية والاعتدال في الإنفاق مثالا وقيمة يقتدي المقتدون بأصحابها[3].

الصفة الرابعة: العفة

من الأخلاق والفضائل التي تحلى بها عباد الرحمن، هي فضيلة العفة المرتبطة بالتقوى، وهي امتناع الإنسان من الوقوع في المعصية، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[4]، قيل في معنى الزنا، هو انتهاك حرمة الإنسان، ويعد ضياعًا للنسب؛ لذلك حرمه الله تعالى[5]، وعباد الله المؤمنين لم يفعلوا هذه العظائم والكبائر من الأعمال القبيحة التي تقود إلى الكفر، فهذا يدل على تهذيبهم وتأديبهم لأنفسهم، إنّهم المتجنبون لكبائر الذنوب، المسارعون إلى التوبة من دون ذنب أذنبوه، وهم لا يرتكبون الفواحش التي كانت سائدة عند العرب في الجاهلية ، وفي هذه العفة الأخلاقية يقول أمير المؤمنين(عليه السلام): ((قدر الرجل على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته ، وشجاعته على قدر أنفته وعفته على قدر غيرته))[6]، ويقول

(١) سورة الفرقان، الآية : ٦٧.
(٢) بحار الأنوار، ٦٦/ ٢٦١.
(٣) ينظر: الكشاف، ٤ / ٣٧٠ ، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) ، ٢٤ / ١٠٩ ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ٤ / ١١٦.
(٤) سورة الفرقان، جزء من الآية : ٦٨ و الآية : ٦٩.
(٥) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٣ / ٤٢٦.
(٦) نهج البلاغة، ٤ / ١٣ .

أيضًا: ((ما زنى غيور قط))[1].

الصفة الخامسة: الابتعاد عن مجالس الباطلين

إنّ من أجلّ صفات عباد الرحمن التي اتسموا بها ، اجتنابهم المجالس المنكرة، والمحرمة، التي يكثر فيها اللهو، واللعب، وتسودها الغفلة، التي يبغضها الله جلّ جلاله، وبالأخص اجتنابهم شهادة الزور، التي صرح بها القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾[2]، أي أنهّم لا يحضرون هذه المجالس، ولا يذكرونها بشيء من حواسهم الخمس ، وأنّهم لا يشهدون الزور ، بمعنى القول الكاذب والباطل ولا يرتكبونه ؛ لأنّه بداية لتلوث القلب، ولا يقتضيه الصدق و الحق[3]، وقيل أيضًا في معنى، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ ،أي عدم مشاركة السفهاء بمجالسهم التي تقتضي الكذب والباطل ، وابتعادهم عن الكذب والتفوه به ، ومخالطة أهل الباطل[4]، و روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: ((شاهد الزور لا تزول قدماه حتى تجب له النار))[5]، وعنه عليه السلام أيضًا، قال:((ما من رجل يشهد بشهادة الزور على مال رجل مسلم ليقطعه ، إلّا كتب الله له صَكًّا إلى النار))[6].

ومن صفات عباد الرحمن إعراضهم عن الجاهلين ، وإكرام أنفسهم عن مجالس اللهو، ما يدل على علو كرامتهم الإنسانية، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[7] .

وخلاصة القول إنّ الصفات الأخلاقية التي تحلّى بها عباد الرحمن، هي مجموعة

(١) المصدر النفسة، ١٩/ ٢١١.
(٢) سورة الفرقان ، جزء من الآية : ٧٢
(٣) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، ٧ / ٥١١ ، الأمثل ، ١٧ / ٢٢٧.
(٤) ينظر : الكشاف ، ٤ / ٣٧٣ ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ١٣ / ٣٣٢ ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، بن عجيبة (ت١٢٢٤هـ) ، ٤ / ١١٩ ، الميزان ، ١٥ / ٢٤٢.
(٥) بحار الأنوار، ١٠١/ ٣١٠.
(٦) الكافي، الكليني (ت٣٢٩هـ) ، ٧ / ٣٨٣.
(٧) سورة الفرقان ، جزء من الآية : ٧٢.

من القيم والمبادئ التي تؤدي إلى اقناع العقل، وإرضاء القلب، في الصفات تشعبت منها جل الخصال الحميدة، المتمثلة بالتواضع والإخلاص، والشجاعة، والصدق، والأمانة، إلخ، والذي يقود إلى الإيمان الخالص لله تعالى، ثم إنّهم اتسموا بفضيلة الحلم، وهي من أعظم مكارم الأخلاق، التي تنبثق منها، التسامح، والعفو، والصبر، والصفح، وضبط النفس عند الغضب، وهذه المكونات مرتبطة بسعة الصدر التي تخلّق بها عباد الرحمن ، واتصفوا أيضًا بالعدل والتوسط عند الإنفاق، و يعد من أهم خصال الحميدة التي تقود إلى الوسطية، و هي جمع بين، المادي و الروحي، بما يقود إلى الاتزان، ولا شك أنّه منهج عظيم الذي يؤدي إلى عدم الإسراف والتبذير في الأموال، وإلى جانب هذا أنّهم اتسموا بصفة رفيعة المنزلة ألا وهي العفة ، وهي ضبط النفس عن الشهوة ، والأعمال المنكرة، وحفظها من الوقوع في المعصية، وهي مرتبطة بتقوى النفس وطهارة القلب و خشوعه لله، ومن صفاتهم اجتناب الباطلين و عدم مشاركتهم في مجالسهم التي يسودها الفساد والأعمال المحرمة، وأيضًا اجتنابهم قول الزور الذي يؤدي إلى الكفر، وإعراضهم عن أهل اللغو ومجالسهم التي يكثر فيها اللهو واللعب، ما يدل على رقي، و علو كرامتهم، أو أخلاقهم السامية .

المبحث الثالث

الصفات الاجتماعية

الصفات الاجتماعية: هي منظومة من القيم، والعادات، والأفكار، والمشاعر، والافعال، الناشئة والمتعلقة بسلوك الإنسان الشخصي، والاجتماعي، وكيفية التعامل مع الآخرين، وهو ما يمنع الفرد حقه في الانتماء إلى المجتمع وفق المعايير السامية[1]. وقد عرض لنا القرآن الكريم مجمل هذه الصفات في سورة الفرقان، التي تجسدت في عباد الله من حيث أنّ تلك الصفات تكون جانبًا رئيسًا من جوانب القدوة الثابتة.

(١) ينظر: المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ٧.

الصفة الأولى : عدم الاعتداء على المجتمع

من الصفات التي انماز بها عباد الرحمن، هي عدم الاعتداء على النفس الإنسانية التي جعل الله تعالى لها مكانة عظيمة و كرمها على سائر خلقه، فعباد الرحمن مبتعدون أشد البعد عن تعديتهم لحدود الله ، و سفك دماء الأبرياء، و إزهاق الأرواح المؤمنة، قال جل شأنه في وصف عباده: ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[1]، وقد تضمن معنى الآية عدم جواز قتل النفس المحرمة و يقصد بها، نفس المسلم، و المعاهد ، ويستثنى منها نفس الحربي[2]، وذكر بعضهم في معنى قوله تعالى: (حَرَّمَ)، أي حرم قتلها، فعباد الرحمن منزهون من الجرائم والكبائر التي كانت سائدة عند العرب من مثل سفك الدماء البريئة ، و إزهاق الأرواح بغير ذنب [3]، وروي عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: ((كل ذنب عسى الله أن يغفره إلّا من مات مشركًا أو قتل مؤمنًا عمدًا))[4]، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: ((أوحى الله عز وجل إلى موسى ابن عمران : يا موسى قل للملأ من بني إسرائيل إياكم و قتل النفس الحرام بغير حق، فمن قتل منكم نفسًا في الدنيا قتله الله في النار مائة قتله))[5].

الصفة الثانية : الجد و الاجتهاد في التربية

من أبرز الصفات التي اتسم بها عباد الرحمن، عنايتهم بإصلاح الأسرة و الأبناء، ودعوتهم إلى طاعة الله عز وجل، ما يدل على الجد و الاجتهاد في التربية، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾[6]، وقد تضمنت معنى الآية أنّهم يسألون الله تعالى، أن يرزقهم أزواجًا، وأبناء مؤمنين، يسعون إلى إصلاحهم، ويسارعون في جعلهم من الصالحين و المتقين، لكي تقر بهم

(١) سورة الفرقان ، جزء من الآية : ٦٨.
(٢) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، ٧ / ٥٠٨.
(٣) ينظر: الكشاف، ٤ / ٣١٧ ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٣ / ٤٢٥.
(٤) كتاب تحريم القتل و تعظيمه ، عبد الغني المقدسي ، ١٣٤.
(٥) بحار الأنوار ، ١٠١ / ٣٨٢.
(٦) سورة الفرقان ، جزء من الآية : ٧٤.

عيون آبائهم[١] ، [٢] ، وذهب آخرون إلى أنّ (عباد الرحمن)، تميزوا بجدهم واجتهادهم في مسألة تربية ابنائهم، تربية صالحة، ما يدل على الشوق الداخلي، والحرص الشديد على تربية أبنائهم تربية صحيحة، فهم يبذلون الكثير من الطاقة والجهد والقدرة، لتعليم أزواجهم و ذرياتهم، بما يقتضيه من التعلم الحق، والعدل، والمساواة[٣]، وروي عن الرسول الأعظم ﷺ أنّه قال : ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له))[٤].

الصفة الثالثة: الشعور بالمسؤولية المجتمعية

الشعور بالمسؤولية من أعظم، ما اتصف به عباد الرحمن، من حيث إنّهم يجعلون من أنفسهم قدوة يُقتدى ويُهتدى بهم، كما ورد في قوله تعالى ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٥]، وقد قيل في معنى الآية : أنهّم يسألون الله تبارك وتعالى أنّ يجعلهم قادة، وقدوة، يُقتدى بهم في أقوالهم وأفعالهم، حتى يهتدوا إلى عبادة الله وطاعته، فيحققوا الهدف من دعائهم بجعلهم (أئمة)، أي قادة وقدوة[٦]، وذكر بعضهم أنّ المراد من قوله تعالى(وَاجْعَلْنَا)، بمعنى إيانا، و إياكم، أي اجعلنا نحن و من اتبعنا من ذريتنا قادة، وقدوة للمتقين والصالحين، الذين يقتدون بنا، ويتبعونا في عبادة الله وطاعته، وعدم معصيته[٧]، وذهب آخرون إلى تبيان معنى الآية، أنهّم يطلبون من الله سبحانه و تعالى أنّ يجعلهم أئمة هدى، أي يهدون ويرشدون الناس إلى طريق العدل والصالحات، وأن لا يجعلهم من أئمة الضلال ، فيهدون الناس إلى الطريق الباطل، فهم يسعون إلى هداية الناس وإرشادهم إلى الحق، فهم يسعون للوصول

(١) ينظر : الكشاف ، ٤ / ٣٧٣.
(٢)ينظر : تفسير ابن كثير ، ٦ / ١٣٢ ، الميزان ، ١٥ / ٢٤٥.
(٣) ينظر : الأمثل ، ١٧ / ٢٢٩.
(٤) بحار الأنوار ، ٢ / ٢٣.
(٥) سورة الفرقان ، جزء من الآية :٧٤.
(٦) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، ٧ / ٥٢١ ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، ٢٤ / ١١٥.
(٧) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ١٣ / ٤٣٥.

إلى أعلى مراتب الدين ، وهذا يحتاج إلى الكثير من المشقة والصبر، وبذل الجهد المتواصل، والكثير من الأعمال الصالحة، وامتلاك القدرة على الهداية، حتى يبلغوا هذه المراتب العالية المقام، فيأخذون بأيدي الآخرين لهدايتهم وإرشادهم إلى طريق طاعة الله تعالى، وهذه الأمور مقترنة بصبرهم، ويقينهم، حتى يحققوا الهدف من القيادة والإمامة[1]، روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ قال : ((نحن أهل البيت))، وروي غيره ((" أزواجنا " خديجة و " ذرياتنا " فاطمة " عليها السلام " و " قرة أعين " الحسن و الحسين " عليهم السلام " " واجعلنا للمتقين إماما " علي بن أبي طالب عليه السلام))[2] .

خلاصة ما تقدم، أن الصفات الاجتماعية التي اتسم بها عباد الرحمن، منهج تربوي قويم، يعمل على إصلاح المجتمع وتنظيمه، بحيث يسوده الأمن، والسلام، والطمأنينة، وتعلمه القيم العليا.

الفصل الثالث

القدوة المؤثر والمتأثر

المبحث الأول

القدوة المؤثر

سبق للبحث أن وقف على مفهوم القدوة ، وخلص إلى أنّ الحالة التي يكون عليها الفرد في اتباع غيره، سواء كان هذا الاتباع حسنًا، فيكون مثالًا للقدوة الحسنة، أو سيئا ، فيكون مثالًا للقدوة السيئة[3]، أمّا نظائر مفهوم القدوة، فهي الأسوة بمعنى التأسي بالغير، واتباع أقواله وأفعاله وأحواله[4] ، والاهتداء بهديه، بمعنى اتباع

(١) ينظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ١١ / ٢٢٩- ٢٣١.
(٢) بحار الأنوار ، ٢٤ / ١٣٢.
(٣) ينظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ت٥٠٣هـ) ، ٧٦.
(٤) ينظر: تفسير الميزان ، ١٩ / ٢٣٣.

الكُمَّل من المؤمنين والصالحين ، والسير على نهجهم بما يحقق الهداية التامة والتوفيق الدائم[١].

ومن هذا المنطلق، القدوة على نوعين: حسنة وسيئة، والاقتداء بالقدوة الحسنة يعني الشعور الذي يندفع من داخل الإنسان نحو الوصول إلى كمال الشخصية بتقليد غيره واتباعه في الخير و محاسن الأخلاق في الأقوال والافعال، وقد ذكر لنا القرآن الكريم نماذج القدوة الحسنة وهم الأنبياء عليهم السلام ، وعباد الرحمن، ومن اتبعهم من الصالحين[٢]، أمّا الإعجاب بالقدوة السيئة فينتهي بالمعجَب إلى الاقتداء بأهل الباطل والتأسي بهم ، واتباعهم في أعمالهم الباطلة وفعل السيئات و ترك الحسنات[٣].

لا يختلف اثنان على أن أبرز مثال للقدوة القرآنية هو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي تحققت فيه جميع الصفات الكمال البشري جميعها. وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بالاقتداء به وجعله أسوة نتأسى بأقواله وأفعاله [٤] ، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴾ [٥] ، وإنّ الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام ومن اتبعهم من المؤمنين، وما تركوه من القيم والمبادئ الحسنة، له أثر عظيم على الذين اتبعوهم واقتدوا بهم سواء كان على مستوى السلوك ، أم على مستوى الفكر[٦]، روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: ((لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء ؛ لأنّه المنهج الأوضح والمقصد الأصح. قال الله عز وجل لأعز خلقه محمد المصطفى صلى الله عليه وآله : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾[٧]))[٨].

(١) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري (ت٣١٠هـ) ، ٩ / ٣٩١.
(٢) ينظر: موسوعة الأخلاق ، ٤٢٤.
(٣) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ، عدد من المختصين ، ١١ / ٥٣٠٠.
(٤) ينظر المصدر نفسه ، ٨٣
(٥) سورة الأحزاب ، الآية :: ٢١.
(٦) ينظر: القدوة الاهمية و تحولات الدور، مجموعة من المتخصصين، ٤٣.
(٧) سورة الانعام ، الآية : ٩٠.
(٨) بحار الأنوار ، ٢ / ٢٦٥.

ولا شك أنّ المنهج الذي يتحدث عنه الإمام ﷺ منهج ثابت غير قابل للتغيير، وهذا يعني أنّ الصفات المنهجية في القدوة صفات ثابتة لا تتغير، و قد عرض لنا القرآن الكريم نماذج لهذه القدوة الثابتة ، التي تحققت فيها شروط القدوة المؤثرة من حيث ثبوت المبادئ والصفات ، وقد تناول القرآن الكريم ذلك الثبات في القدوة من جوانب مختلفة و متنوعة ، و من أبرز تلك الجوانب:-

أولًا : الجانب العقدي:

إنّ المرء الذي نقتدي به لابد أن يمتلك عقيدة ثابتة راسخة لا تتزعزع، و قد تمثل هذا الجانب بعدة أمور أبرزها :-

أ- الإيمان: وهو الإقرار القلبي لله سبحانه وتعالى بالوحدانية والاستقامة على دينه[1] ، يقول تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾[3] ، وهكذا إذا وقر الإيمان في قلب القدوة امتلك القدرة على جذب المقتدين به إلى ما آمن به.

ب – عبادة الله وطاعته : وتعني أن يتوّج الإيمان بالخضوع لله سبحانه وطاعته في ما يأمر وينهى[4]، وترتب على طاعة الله طاعة الرسول، يقول ﷺ : ((إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه))[5]، وهكذا إذا أطاع القدوة ربّه جعل الله له في النفوس مقدارا من الطاعة بمقدار ما يطيع.

ت – الإخلاص: إنّ من أولويات الفرد المقتدي أن يبحث في المقتدي به عن صفة الإخلاص، لله في القول والعلم والعمل، بغية رضا الله تبارك وتعالى، بعيدًا عن إرضاء النفس والآخرين، بل يكون خاضعًا و مخلصًا لله سبحانه من حيث الأمر،

(١) ينظر : القدوة الحسنة في ضوء القرآن الكريم ، ناصر بن محمد بن عبد الله الماجد ، ١٤٩ .
(٢) سورة النحل ، الآية : ١٢٠ .
(٣) سورة الفرقان ، جزء من الآية : ٦٨ .
(٤) ينظر : القدوة مبادئ و نماذج ، صالح بن عبد الله بن حميد ، ٩ .
(٥) ميزان الحكمة ، ٢ / ١٢١٧ .

والنهي، والنظر، والقصد، مع خلوص النية لله تعالى[١]، و قد جاءت أهمية الإخلاص في العديد من الآيات القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾[٣] .

ثانيًا : الجانب الأخلاقي :

حُسْن الخُلُق هو التطبيق العملي لحُسْن الإيمان وحُسْن الطاعة، وهو المؤثر العملي في سلوك القدوة والمقتدين، وهو الداعي الأهم للتأثر بالقدوة واتباع أقواله وأفعاله[٤] ، ولها يحمد الله جل وعلا رسوله الأكرم ﷺ ويثني عليه فيقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥]، إنّ صفة الخُلُق الحسَن تدل على استقامة الإنسان في علاقته مع ربّه، وكذلك استقامة علاقته بالناس؛ ولذلك يقول رسول الله ﷺ : ((وإنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[٦] ، ويقول أيضًا: ((خالِقِ الناس بخُلق حسَن))[٧].

ولنا أن نختصر العناصر الكبرى من عناصر الجانب الخُلقي في أربعة[٨]:

أ- التواضع: وهو صفة عظيمة مقترنة بقلب المؤمن، و لابد من توافرها عند المقتدي به ، فالناس لا تبحث عن الذي يتعالى و يتكبر عليهم ، بل ينفرون منه، و أنّهم يبحثون عن الإنسان الذي يبذل لهم الاحترام و العطف[٩].

ب- الصدق: ويترتب على الصدق أثر عظيم في مسلك القدوة الحسنة، يقول تعالى: ﴿يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾[١٠]، ويقول ﷺ : ((إنّ الصدق يهدي إلى البر و

(١) ينظر : القدوة مبادئ و نماذج ، ١٠.
(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٣٩.
(٣) سورة الزمر ، الآية : ٢.
(٤) ينظر : القدوة مبادئ و نماذج ، ١١.
(٥) سورة القلم ، الآية : ٤.
(٦) بحار الأنوار ، ١٦ / ٢١٠.
(٧) ينظر المصدر نفسه ، ٦٨ / ٢٤٢.
(٨) ينظر : القدوة ، أسماء بنت راشد الرويشد ، ١١.
(٩) ينظر : القدوة مبادئ و نماذج ، ١٥-١٦.
(١٠) سورة المائدة ، جزء من الآية : ١١٩.

إنّ البر يهدي إلى الجنة))[1]، ولابد في المرء الذي نقتدي به أن يمتلك صفة الصدق، ولا سيما صدق علاقته مع ربه، ومن ثم صدقه في علاقته مع الناس، فإذا كان كذلك كان مؤثرا.[2]

ت- الصبر: تعد صفة الصبر من الصفات الحميدة، ومن الأخلاق السامية النبيلة، ومن آثارها ضبط النفس ، وصمودها أمام ما تواجه من الأمور المؤلمة سواء كان من الجانب النفسي، أم من الجانب الجسدي، فهو من العوامل الأساسية المرتبطة بسلوك المؤمن حتى يصل إلى الكمال، و إلى أعلى درجات التقوى و الإيمان، و لابد للفرد المقتدي أن يبحث في المقتدي به هذه الصفة العظيمة، ليكون اقتداؤه سببًا إلى وصوله إلى أسمى درجات الكمال، ولا سيما تحمل أثقال الحياة و مشقاتها، و ليكن قادرًا على ما يواجه من عقبات في مسيرة حياته، فضلا عن ذلك تحمله للبلاء والأذى[3]، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: ((أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على قدر دينه))[4] .

ث- الاعتدال في أمور الحياة: يعد منهج الاعتدال من أسمى المقاصد التي صرح بها القرآن الكريم، ومن آثاره التوسط، والاقتصاد، و الاستقامة، في أمور الحياة والمعيشة، وهو نقيض الإسراف والتفريط، سواء كان من جانب العبادات، أم من جانب المعيشة و أمور الحياة ، وعلى المرء الذي يكون محل القدوة أن يسير على منهج الوسطية والاعتدال في أمور حياته، حتى يحقق القدوة القرآنية ويكون مثالًا حسنًا لغيره[5] ، و قد أكد القرآن في العديد من آياته مبدأ الوسطية والاعتدال في جميع جوانب الحياة، قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[6] .

(١) ميزان الحكمة ، ٢ / ١٥٧٨.
(٢) ينظر : القدوة مبادئ و نماذج ، ١١.
(٣) ينظر : أهمية القدوة الحسنة في تبليغ الدعوة، علي خضرة ، ٣٧ – ٣٨.
(٤) بحار الأنوار ، ٦٤ / ٢٣١.
(٥) ينظر : القدوة ، ١٢.
(٦) سورة البقرة ، جزء من الآية : ١٤٣.

ثالثًا: الجانب الاجتماعي:

إنّ تحقق الثبوت القيَميّ في الصفات العقائدية والأخلاقية، يفضي إلى الالتفات إلى الصفات الاجتماعية التي يجب أن تتحقق لدى المرء الذي نقتدي به، وإنّ كلًا من الجانبين السابقين يكونان نقطة انطلاق إلى تطوير الحياة الاجتماعية ، والعمل على تنظيم المجتمع وتطويره نحو الأفضل، من طريق ما يمكن تسميته (مطابقة القول العمل)، بمعنى أنّ المرء قدوة يعمل بما يقوله فلا يخالفه ؛ لأنّ ذلك دلالة على صدق ما يكون عليه من قوله مقترنًا بعمله ، فيطابق خارجه داخله[1]، يقول تعالى: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[2]، ويقول: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ ﴾[3]، ومن أبرز صفات المؤمن المترتبة على (مطابقة القول العمل) : الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، والتسامح، والصفح، ومساعدة الآخرين، والتعاون على الخير، والجود و الكرم، والإصلاح بين الناس، وغيرها الكثير[4] .

إنّ هذه الجوانب الثلاث هي شروط ثابتة في القدوة لا يمكن تغييرها بتغير المجتمع ، أو بتغيير الزمان والمكان والأحوال، و لا يمكن تغيرها، و إنّ من يثبت على هذه الصفات و المبادئ فإنّه يزداد ثباتًا فوق ثباته حتى يحقق الهدف من الاقتداء.

(١) ينظر : القدوة مبادئ و نماذج ، ٢٠، وأهمية القدوة الحسنة في تبليغ الدعوة ، ٤٠ – ٤١.
(٢) سورة هود ، جزء من الآية : ٨٨.
(٣) سورة الصف ، الآية : ٢-٣.
(٤) ينظر : القدوة الاهمية و تحولات الدور، مجموعة من المتخصصين ، ٤٥- ٤٧.

المبحث الثاني

المتأثر: فرديًا

أولا: تأثير القدوة الثابتة

توضّح مفهوم القدوة بجانبيها الثابت و المتغير، بفضي إلى معرفة آثارها المترتبة على الفرد من حيث ثباتها وتغيرها، وكيف سيكون مسار هذا التأثير إذا اتخذ المتأثر بالقدوة أحد الأمرين.

إنّ الفرد بتكوينه الفطري متفاعل مع بيئته الاجتماعية المحيطة به فيؤثر فيها، و تؤثر فيه، وإنّ سلوك الإنسان المتمثل بالاقتداء والمحاكاة مرتبط بسلوكه الفطري النابع من أصل تكوينه ، ولا يمكن أن يكون الإنسان بلا قدوة يقتدي بها، وذلك يرجع إلى الرغبة الفطرية الملحة التي تدفع به إلى الاقتداء بالغير[1]، و خاصة الأطفال فهم الأكثر تأثرًا بمن حولهم ؛ لأنّ يعتقدون أنّ كل ما يصدر من الكبار يعد تصرفًا صحيحًا، كما ورد في" موسوعة العناية بالطفل" : ((يبدأ الطفل في سنة الثالثة يدرك بوضوح أكثر أنّه من الذكور، و أنّه سيصبح يوما ما رجلا كأبيه. و هذا ما يحمله على الشعور بإعجاب خاص بأبيه و بغيره))[2]، من هنا يظهر أنّ الفرد لا يستطيع أن يبدأ وحده من الصفر، بل يحتاج إلى وجود نماذج إيجابية و ناجحة لمحاولة الاستفادة من تجاربهم في حياته، بما يعمل على تطوير نفسه و قدراته و تحديد اتجاهاته و رغباته منذ بداية طريقه[3]، ومشاعر الإعجاب بالقدوة من أهم الاسس النفسية التي تدفع الفرد إلى الاقتداء به ، ولكن الاقتداء لا يمكن أن يكون مبنيا فقط على مجرد الإعجاب بل يصاحبه وعي وإدراك حتى يحقق الهدف والمقصد[4]، بل إنّ الفرد الذي يضع في

(١) ينظر : القدوة الحسنة في ضوء القرآن الكريم ، ١٣١ .
(٢) موسوعة العناية بالطفل، أليسون ماكنوشي، الدليل العلمي للآباء و الأمهات، دار الفاروق، ط ٢٠٠٧ ، ٥٨ .
(٣) ينظر : القدوة الاهمية و تحولات الدور ، ١٢١ .
(٤) ينظر : القدوة الحسنة في ضوء القرآن الكريم ، ١٣٢ .

ذهنه قدوة ثابتة قادرة على من الوصول إلى الكمال و الرقي الإنساني فالقدرة الحسنة تعمل على إتقان بناء الإنسان لشخصه ، و لا سيما هي القدوة الحسنة ؛ لأنّها تعد من الأمور الموثرة جدًا في حياة الفرد والتي تسهم في بنائه و تطويره، و تعمل على إثارة الجانب الحسن لديه، ومحاولة تقليد ما استحسنه منها يحقق له الارتقاء في ذاته، فالقدوة الحسنة هي الصورة التي يرسمها الفرد في ذهنه حتى تمكنه من طي الطريق باستقامة، بغية الوصول إلى التكامل والمنزلة الرفيعة، و أبرز مثال للقدوة الحسنة هم الأنبياء و المرسلون ﷺ و من اتبعهم من الصالحين، و لا سيما منهم الأسوة الكبرى الرسول الأعظم ﷺ الذي أمرنا الله تبارك و تعالى بالتأسي به، كما ورد في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾[1][2]، وربما يجب في القدوة بالنسبة إلى المقتدي، أن تكون القدوة في الدرجة العليا من الكمال بحيث لا يصعب الوصول إليها، ومثال تلك القدوة التي يصعب الوصول إليها بغية مساواتها، ومجاراة ثباتها، الإمام الحسين ﷺ، الذي يمثل الاقتداء به انطلاقًا للنهوض بالواقع الاجتماعي وإصلاح فساده [3].

وتظهر فائدة القدوة الحسنة الثابتة من حيث آثارها المترتبة على الفرد في الأمور الآتية:-

أ- إنّ القدوة الحسنة لها أثر عظيم على الفرد بجعله على اتصال دائم بالله سبحانه وتعالى، عبر عبادته و طاعته ، وإخلاص النية في القول والعلم والعمل لله تعالى، وذلك بغية الوصول إلى مرضاته من حيث أنّه المثل الأعلى.[4] .

ب- يعمل سلوك الاقتداء على بناء شخصية قوية تتصف بالعزة والكرامة

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١

(٢) ينظر: أسلوب القدوة الحسنة في الكتاب و السنة، (رسالة ماجستير) ، باسم محمد حنوش، سنة ٢٠١٥ ، ١١.

(٣) سورة الأنعام ، جزء من الآية : ٩٠.

(٤) ينظر : أهمية القدوة الحسنة في تبليغ الدعوة ، ٤١.

ورفض الظلم[١].

ت- ثبوت القدوة الحسنة ينمي الفضائل والصفات ، والأخلاق الحميدة والسامية في نفس الفرد، فحسن القدرة يعزز في المقتدي الثقة والأمل بالله عز و جل، فينطلق الفرد في حياته بشحنات إيمانية مستمدها من قادته و قدوته ، و تدفع به نحو فعل الخير و البر و الإحسان[٢].

ث- تنظم علاقة الفرد بالناس فيحسن التعامل معهم، ما يكسب المقتدي احترام الآخرين وثقتهم، لتحليه بمكارم الأخلاق الفاضلة و طلاقة الوجه وحسن القول

ج- تؤثر معايير القدوة الثابتة في تكوين الفرد النفسي وترسخ فيه القيم العليا[٣].

ح- تعمل القدوة الحسنة على تكوين روح العمل البناء وتحفز دافع التنافس المحمود، وتعززه بقناعة تامة في أنّه قادر على بلوغ هدفه [٤].

خ- من آثارها التوازن والاعتدال في سلوك الفردي والمجتمعي، فهي تبصره بعيوبه، وترشده لاتخاذ الأسلوب الصحيح، وتشجعه على فعل الخيرات[٥].

ثانيا؛ تأثير القدوة المتغيرة

فإذا وضع المقتدي لنفسه قدوة متغيرة بتغير الأحوال والأمكنة والأزمنة ازداد نقصانًا وتسافلًا ، وانحدر مع كل أمر جديد يحصل في المجتمع، ما يعني أنّه لا يثبت على قدوة معينة، وينجذب ويتأثر بكل فكرة ، أو عقيدة جديدة تطرأ على المجتمع، ثم تتحول بمرور الوقت إلى مبدأ ومثال يُقتدى به، والنتيجة هي مزيد من الفوضى التقسيمية والأخلاقية والكثير من الإقبال فتعم الفوضى و الاضطرابات على فعل أمور غير متوافقة مع المبادئ و القيم الثابتة ، والذي يترتب على تلك الفوضى

(١) ينظر : أهمية القدوة الحسنة في تبليغ الدعوة ، ٤٢ .
(٢) ينظر : المصدر نفسه، ٤٢ .
(٣) ينظر : التربية بالقدوة، أحلام عبد الله رضوان ، ٣٧١.
(٤) ينظر : القدوة الحسنة و أثرها على الفرد و المجتمع ، د. سميرة خليفة عبدالله كنيدل ، ٨٦.
(٥) ينظر : المصدر نفسه ، ٨٧.

الفردية فوضى مجتمعية تتمثل : بالتفكك الأسري ، وانشغال الوالدين عن أبنائهم، والشعور بالفراغ العاطفي و الروحي، والنتيجة هو ما تسعى إليه القيم والمبادئ الأخلاقية والاجتماعية و الفكرية و الدينية، الثقافات الوافدة إلى التأثير في المجتمع المنفتح على الثقافات بدون مبدأ وشرط [١]، والمستجيب لما يسمى (بالاغواء الفكري) المتمثل بصناعة القدوة السيئة[٢]

خلاصة القول أنّ القدوة الحسنة هي القدوة القرآنية الثابتة التي لا تقبل التغير مطلقًا، وإنّ ثبات الفرد على قدوة ثابتة سيزداد ثباتًا فوق ثباته، فهو يسهم في بنائه وتطويره حتى يصل إلى أعلى درجات الكمال، و يجب على الفرد أن يضع له قدوة من الكمال لا يمكن الوصول إليها، فتعززه بالقوة و التحمل أمام الصعاب التي تواجهه في حياته، و تعمل على نضجه فيكون واعيًا و مدركًا ما يدور من حوله من التغيرات التي طرأت على المجتمع، فإنّ هذه التغيرات لا تؤثر به مطلقًا؛ لتمسكه بقدوته و ثباته عليها، مما تحقق له النجاح و الرقي في الحياة، فتؤثر به تأثيرًا ايجابيًا، أما غياب القدوة الحسنة و تغير الفرد لقدواته و عدم الثابت عليها، فتؤدي به إلى هلاكه و انهيار حياته ؛ لأنّه وضع له قدوة ناقصة و متسافلة فسيزداد نقصان، فتعم الاضطرابات في حياته ، و عدم السيطرة عليها ، مما تؤدي إلى انحرافه عن المسار الصحيح، و تجعله في فوضى عارمة.

المبحث الثالث

المتأثر مجتمعيًا

تكمن أهمية القدوة الحسنة و تأثيرها على مجالات الحياة المختلفة عن طريق الآتي:-

أولًا: المجال الديني: إنّ القدوة الحسنة لها أثر عظيم على أفراد المجتمع؛ و ذلك

(١) ينظر : النهي عن القدوة السيئة و بيان أضرارها ، علي بن نايف الشحوذ ، ٣٦.
(٢) ينظر : المصدر نفسه ، ٣٣.

عبر غرس مفاهيم الدين في نفوسهم، و تعمل على تنظيم علاقتهم مع الله تبارك وتعالى ، وذلك عن طريق القيام بالعبادة و الطاعات المحضة، و الحفاظ على أداء الفرائض والواجبات التي كلفوا بها، و القيام بالنوافل التي تقربهم من الله تعالى[1]، وتوجب عليهم أن يجتهدوا و يبذلوا الكثير من الجهد و الطاقة لعبادة الله و طاعته، و أبرز مثال على ذلك هو الرسول الأعظمﷺ حيث كان يجتهد كثيرًا في أداء العبادة و قيامه بالشعائر العبادية التي تقربه من الله سبحانه، و رغبته في طلب المثوبة ورضا الله تعالى و طلب فضله، فقد روي عنهﷺ أنّه من يكثر من القيام لعبادة الله وطاعته حتى تورمت قدماه، فقيل له : الم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقالﷺ : ((أفلا أكون عبدًا شكورًا))[2]، والذي يترتب على القيام بعبادة الله و طاعته، وعدم التفريط بها هو الاستعانة بالله سبحانه وتعالى ؛ لكي يصنعه صناعة ربانية، يقول تعالى، متوجها بالخطاب إلى موسى: النبي- القدوة عليه السلام، بقوله: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾[3]، وبذلك يتكون النموذج القدوة، فإذا كان ذلك الجانب مفقودًا في المجتمع كان فقدانه سببًا لتفككه ، وفضلًا عن عبادة الله، يعمل الجانب الديني على بناء العلاقات المجتمعية المنضبطة، ولكن مهمة القيام بتلك المهام المجتمعية يحتاج إلى تنمية مفهوم القدوة الدينية التي تجعل ما يراه أبناء المجتمع صعبًا ، يكون سهلًا و محبوبًا و دافعًا إلى التخلق بأخلاق القدوة[4].

ثانيًا: المجال الأسري :

تعد الأسرة نواة المجتمع و لبنته الأولى ، وعنوان صلاحه، فالأبوين مثالٌ وقدوة لأبنائهم، ولابد أن تكون تربية الأبوين للأبناء قائمة على ترسيخ مفهوم القدوة الحسنة؛ لتنظم حياة الأبناء وفق مبادئ تلك القدوة[5]، إذ روي عن رسول اللهﷺ

(١) ينظر : التربية بالقدوة، ٣٧١.
(٢) بحار الأنوار ، ١٠ / ٤٠.
(٣) سورة طه، جزء من الآية : ٣٩.
(٤) ينظر : القدوة و أثرها في الدعوة إلى الله، أ.د. إسماعيل علي محمد ، ٣٦- ٣٧.
(٥) ينظر : القدوة الحسنة في ضوء القرآن الكريم، ١٢٩ .

أنّه قال: ((ما من مولود إلّا و يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه))[1]، ومن أبرز نماذج القدوة الحسنة في تربية الأبناء ما ذكره القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِه وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2]، فوصية لقمان لابنه منهج رائع في تربية الأبناء ؛ لأنها قائمة على مفاهيم الهدى والرشاد، وفيها بعد توحيد الله وآثار التوحيد النفسية الأخلاقية ، يوصي لقمان ابنه ببر الوالدين ولكن بشرط أنّ طاعتهم لا تعني متابعتهم على الباطل، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3] ، وأوصاه أيضًا بالحفاظ على أركان الدين وشرائعه، وكيفية التعامل مع الناس، و الوفاء بالحقوق، و أوصاه أيضًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها الكثير، فكل هذه الوصايا لها دلالات عميقة و معالم تربوية في تربية الأبناء، و التي تمنح التأثير الإيجابي على المجتمع [4].

ثالثًا: المجال الأخلاقي والاجتماعي:

تؤثر القدوة الحسنة بشكل كبير وواضح على المجتمع، وذلك عن طريق غرس القيم و العادات السليمة ، والمفاهيم الجيدة في نفوس أفراده، فتعمل على تنظيم علاقتهم بعضهم ببعض على وفق مبدأ الاحترام وحسن التصرف، وتعمل على اكتسابهم لمكارم الأخلاق بما فيها من العدل، والكرم، والسماحة، وطيب العشرة، وطلاقة الوجه، وحسن القول[5]، و تحثهم على فعل الخير، والتعاون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لكي يبنوا مجتمعًا متماسكًا، و يكونوا يدًا واحدة بالمساهمة في بناء

(١) بحار الأنوار ، ٦٤ / ١٣٣.
(٢) سورة لقمان ، الآية : ١٣.
(٣) سورة لقمان ، الآية : ١٤ – ١٥ .
(٤) ينظر: القدوة الحسنة في ضوء القرآن الكريم، ١٨٧ – ١٩١.
(٥) ينظر: التربية بالقدوة، ٣٧١، القدوة، ١٣.

مجتمعهم وفق معايير الإسلام، و تطويره و تنميته نحو الأفضل، وبذلك يكون أبناء المجتمع يدًا واحدة في الخير والعون، و يسهمون في أمن و سلامة المجتمع، ويحافظون على معنى الإنسانية و إدراك مسؤولية الأخوة في المجتمع، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1]، و تعمل أيضًا على الإصلاح بين الناس ، وتحسين علاقتهم الاجتماعية لكي تسود المحبة والمودة و الطمأنينة في المجتمع[2]، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3]، ويترتب على تلك القيم الأخلاقية التي تكون شخصية القدوة تأثير في إصلاح المجتمع ، والقضاء على الجهل، و التخلف، والفساد، و الفوضى، و الاضطرابات، و غيرها من الأمور التي يتعرض لها المجتمع [4].

وبين ثبات المنظومة المجتمعية عقديًّا وأخلاقيا، ثبات القدوة تارة، وتغيرها تارة أخرى ، فإن تغيرت فإنّ تغيرها لا يعني أنّها في المسار الصحيح دائمًا ؛ وذلك لأنّ القرآن الكريم هدانا إلى الثبات الكامل المطلق، ولا يوجد ما هو أوضح مما هدى إليه القرآن، وإلا فالمبالغة في الثبات رهبانية، والتفريط به تسافل في الأمر وانحراف، وإنّ تغير القدوة مرده أحيانًا إلى التغيرات الحاصلة في المجتمع، بمعنى أنّ مفهوم القدوة ثابت في القران ، لكن مصاديقها وعناوينها هي التي تتغير، وإنّ تغير القدوة يرجع إلى الحاضنة الاجتماعية لما لها تأثير كبير على المجتمع في تغير القدوة ، مهما كان نوع هذه البيئة سواء كان من الجانب، السياسي، أو الديني، أو الفني، أو الفكري، الخ، فكل جانب من هذه الجوانب له تأثير على المجتمع، فتنشأ منها قيم ومبادئ جديدة تلقى التقبل و التأييد من المجتمع[5]، فتتحول هذه القيم والمبادئ إلى قدوة يتخذها

(١) سورة المائدة، جزء من الآية : ٢.
(٢) ينظر: القدوة الحسنة و أثرها على الفرد و المجتمع، ٨٨.
(٣) سورة الحجرات، الآية ، ١٠.
(٤) ينظر: القدوة الحسنة و أثرها على الفرد و المجتمع، ٨٨.
(٥) ينظر: القدوة الاهمية و تحولات الدور، ٢٣.

المجتمع ، ويلتزم بها أفراده، فيتأثرون بها، ويحاولون تطبيقها في حياتهم، ما يؤدي إلى تغير الفكر والسلوك لدى الفرد[١]، ومن آثار هذا التغير غير المشروع في ثوابت القيم الاضطراب والفوضى في المجتمع؛ لأنّه اتخذ قدوة غير صحيحة وغير ثابتة في مبادئها، تؤدي به إلى الانحراف في مساراته، فتعم الفوضى وتنتشر الحالات غير مقبولة في المجتمع، وهذا ما يُسمّى بالقدوة السلبية ، أو السيئة[٢]، وهناك نوع آخر من القدوة، وهو ما يُسمّى: (القدوة الناعمة) ومفادُها مجموعة أفكار تتسلسل إلى المجتمع المتصف بثبات المنظومة القيمية تدريجيًا و بهدوء من طريق وسائل الإعلام وغيرها ؛ لتفعل فعلها في المجتمع الذي قد يسعى إلى تغيير قدوته، فيسير نحو المسار غير الصحيح، ومع مرور الوقت تتحول تلك الأفكار المتغيرة الناعمة إلى قيم ومبادئ جديدة تنشأ في المجتمع فتؤثر في سلوك أفراده[٣].

أمّا غياب القدوة الحسنة في المجتمع فيعني أن تلجأ المجتمعات إلى الاعتماد على قدوات متغيرة غير ثابتة، ما يعني اقتداء أفراد المجتمع بالقدوة السيئة وتأثرهم بها ، وابتعادهم عن القيم والعادات والمفاهيم الأخلاقية، الإسلامية، و تأثرهم بالثقافات الغربية التي تهدد في المجتمعات الإسلامية وخاصة في الآونة الأخيرة، المتأثرة بالتكنلوجيا المتطورة المتعلقة بوسائل التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية في هذه المجتمعات، التي اسهمت في انتشار هذه الثقافات و تأثيرها على المراهقين، مما أدت إلى حدوث تغير في سلوكهم ، و طباعهم ، و تفكيرهم[٤].

ولا يقف تأثير القدوة السيئة عند حد، بل تمتد إلى أشخاص، أو أفكار، أو معتقدات تطرأ على المجتمع ، على أنّ الاقتداء بالأشخاص ذوي الطباع السيئة يعدُّ أحد الأسباب في انحراف أفراد المجتمع، وتراجعهم عن قيمهم ومبادئهم الإسلامية،

(١) ينظر المصدر نفسه، ٢٤.
(٢) ينظر: القدوة الاهمية و تحولات الدور، ٢٥.
(٣) ينظر: القدوة الاهمية و تحولات الدور، ٢٥.
(٤) ينظر : أثر القدوة الحسنة في التربية الإسلامية، مؤيد السيد يوسف الطباطبائي، ١٧.

والأخطر من الاقتداء بالأشخاص السيئين، الاقتداء بالأفكار السيئة ؛ وذلك لأنّ الاقتداء بفكرة معينة يعني الاقتداء بقدوة مجهولة لا يمكن أن تتجلى في مصاديق[1].

الخاتمة

وهنا لابد من إيراد جملة من النتائج التي تكشفت للبحث بعد الفراغ من عرض مادته العلمية ، ومن تلك النتائج:

١ – القدوة في معناها اللغوي تدل على الاتباع والاقتداء والتأسي، بما فيه الجانب الحسن والسيء، فالاتباع الحسن فيما إذا كانت القدوة حسنة ينتهي بالمتبع إلى السير في طريق التكامل الإنساني، وبعكسه الاتباع السيء خاصةً إذا كانت القدوة سيئة.

٢ – (عباد الرحمن) هم المَثَل الأعلى والقدوة الكاملة، سواء ما يتعلق بمفهوم العبودية للرحمن التي تولت سورة الفرقان بيانها، أم ما يتعلق بمصاديق تلك العبودية التي مثلها بأكمل أحوالها، (عباد) مخصوصون، هم محمد وآل محمد صلوات الرحمن عليهم وسلامه.

٣– ومن أهم صفات (عباد الرحمن) الرحمة التي توجب التسامح والعفو، والصفح عن الآخر.

٤ – القدوة حاجة راسخة في نفوس البشر، ومن ثم فهي المعيار الذي به تتكون الثوابت القيمية.

٥ – تسهم القدوة الحسنة في بناء الفرد والمجتمع، وتعمل على تطوير وتقدم المجتمع نحو الأفضل، وإنّ الثبات على قيمها ومبادئها يحقق الاستقامة والطمأنينة في الحياة سواء على مستوى الفرد أم على مستوى المجتمع.

٦ – إنّ غياب القدوة الحسنة وإحلال ملامح القدوة السيئة محلّها يعد السبب الرئيسي لتفشي الكثير من المشاكل و الاضطرابات المخلة في المجتمعات الإسلامية، ومن ثم انهيار البناء الحضاري المنوط بتلك المجتمعات، وهذا ما صار يتغلغل إلى

(١) ينظر : القدوة الاهمية و تحولات الدور، ٢٣.

أبناء المجتمع الإسلامي، وهو ما تخشى عواقبه.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. أثر القدوة الحسنة في التربية الإسلامية، مؤيد السيد يوسف الطباطبائي، الكويت، المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات، العدد ٢٨،السنة ٢٠٢٠.

٣. أساس البلاغة، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ،تحقيق، محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.

٤. أسلوب القدوة الحسنة في الكتاب والسنة ومدى مراعاته من قبل معلمي التربية الإسلامية في محافظة العاصمة عمان من وجهة نظر طلبتهم، (رسالة ماجستير)، المعهد العالي للدراسات الاسلامية، باسم محمد حنوش، سنة ٢٠١٥.

٥. إغاثة اللهفان، ابن القيم(ت ٧٥١هـ)، تحقيق، محمد غريد الشمس، دار عطاءات العلم للنشر، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م.

٦. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ– ٢٠١٣م.

٧. أهمية القدوة الحسنة في تبليغ الدعوة، مجموعة من الطلاب، إشراف الأستاذ، علي خضرة، جامعة الوادي، سنة ٢٠١٣م.

٨. بحار الأنوار، العلامة المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق و تصحيح، لجنة من العلماء و المحققين الاخصائيين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٩٤هـ – ٢٠٠٨م.

٩. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ) ، تحقيق وتعليق، أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، ط ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩م .

١٠. تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق، محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١١. التبيان في تفسير القرآن، الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق، أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٢. التربية بالقدوة، أحلام حسن عبدالله رضوان، الأردن، المجلة الدولية للدراسات التربوية و النفسية، مجلد ٦،عدد ٣٤،سنة ٢٠١٩.

١٣. التعريفات، الشريف الجرجاني(ت ٨١٦ هـ)، المحقق ضبطه مصححه ، جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣م.

١٤. تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، (دون، ط،تا) .

١٥. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(ت ٧٧٤هـ)، تحقيق، سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض،السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٦. التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، الرازي(ت٦٠٦٠هـ)،دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٧. تفسير نور الثقلين، الحويزي(ت١١١١هـ)، تحقيق، السيد علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١.

١٨. جامع أحاديث الشيعة، العلامة البروجردي، المطبعة العلمية، قم، إيران، ط ١٣٩٧هـ-ق.

١٩. جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري(ت٣١٠هـ)، تحقيق، الدكتور بشار عواد معروف، عصام فارس الحرشاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ،١٩٩٤م.

٢٠. جامع السعادات، النراقي (١٢٠٩هـ)، حققه وعلق عليه، العلامة السيد محمد كلانتر، دار النعمان، ط٤.

٢١. خلق المسلم ، محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٢٢. الداء والدواء، ابن القيم، تحقيق، محمد أجمل الإصلاحي، دار الفوائد للنشر و الطباعة.

٢٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي(٩١١هـ) ، تحقيق، الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية الإسلامية، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٤. العين مرتبا على الحروف الهجائية ، الفراهيدي(ت١٧٠هـ)، تحقيق، د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٥. غرر الحكم ودرر الكلم، الامدي (٥١٠هـ) ، تحقيق العلامة الشيخ حسن الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.

٢٦. القدوة، أسماء بنت راشد الرويشد، دار الوطن للنشر،٢٠١٢.

٢٧. القدوة الأهمية و تحولات الدور، مجموعة من الباحثين، منتدى الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١م.

٢٨. القدوة الحسنة في ضوء القرآن الكريم، د. ناصر بن حمد بن عبد الله الماجد، مجلة الدراسات القرآنية، العدد ٨، ١٤٣٢.

٢٩. القدوة الحسنة و أثرها على الفرد و المجتمع، د.سميرة خليفة عبد الله كنيدل، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ٢٠٢٢.

٣٠. القدوة نماذج و مبادئ، صالح بن عبد الله بن حميد،٢٠٢٢ .

٣١. القدوة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى، علي بن نايف الشحوذ، ط١، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٣٢. كتاب تحريم القتل و تعظيمه، عبد الغني المقدسي، دار ابن حزم، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م.

٣٣. كتاب التوحيد، محمد بن عبد الوهاب النجدي (ت ١٢٠٦هـ)، تحقيق، أبو مالك الرياشي القفيلي، مكتبة عباد الرحمن، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٣٤. الكشاف، الزمخشري، تحقيق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٣٥. الكليات، الكفوي (١٠٥٣هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٣٦. لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق، اليازجي ومجموعة من اللغويين، دار الصادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣٧. مختار الصحاح، الرازي (ت٢٥٠هـ) ، تحقيق، عصام فارس الحرستاني، دار عمار، عمان، ط٩، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.

٣٨. مصباح الشريعة، المنسوب لامام الصادق عليه السلام.

٣٩. المصباح المنير، الفيومي(ت ٧٧٠هـ) ، تحقيق، د. عبد العظيم النشاوي، دار المعارف، المدينة المنورة، ط٢، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

٤٠. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم الملايين، بيروت ،لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

٤١. معجم تهذيب اللغة، الأزهري (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق، د. رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤٢. معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني(٥٠٣هـ) ، تحقيق، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤.

٤٣. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط ١٩٨٢م.

٤٤. مقاييس اللغة، ابن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٤٥. ميزان الحكمة، محمد محمدي الريشهري، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، ١٣٦٢هـ.

٤٦. الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٤٧. موسوعة الأخلاق الإسلامية، مجموعة من المختصين، بإشراف، الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.

٤٨. موسوعة الأخلاق، الخراز، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٤٩. موسوعة العناية بالطفل، أليسون ماكنوشي، الدليل العلمي للآباء والأمهات، دار الفاروق، دمشق، ط٢٠٠٧.

٥٠. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من المتخصصين، إشراف، صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمن بن محمد بن ملوح، دار الوسيلة، جدة، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٥١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي(٨٨٥هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط١، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

٥٢. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٥٣. النهي عن القدوة السيئة وبيان أضرارها، علي بن نايف الشحوذ، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.